

الحجامة - الطب البديل في المجتمع الجزائري

أ/ حليم عزاز

جامعة صفاقس - تونس -

الملخص :

Résumé :

Cet article aborde "Alhajamat" comme une branche de la médecine alternative elle met l'accent sur des pratiques thérapeutiques traditionnelles et populaires.

"Alhajamat" a commencé à réintégrer dans nos sociétés également les sociétés occidentales dont elle est devenue écorcer comme l'un des types de médecine a fin d'être destiner à enseigner et elle occupé un large écho dans les publications des livres et même sur les sites d'Internet.

Que l'importance d'"Alhajamat" dans notre vie, il est très intéressant de soutenir cette nouvelle discipline en essayant de l'inclure dans les livres de la médecine moderne, a cet effet nous approfondissons de plus à traves la réponse a la question suivante :

Comment incarner "Alhajamat" comme une médecine alternative au sein de la société algérienne ?

يتناول هذا المقال الحجامة كفرع من فروع الطب البديل، إذ تعد الحجامة من الممارسات العلاجية التقليدية الشعبية؛ حيث بدأت الحجامة تدخل مجتمعاتنا مثلما دخلت المجتمعات الغربية، فقد أصبحت تمارس كنوع من أنواع الطب في المجتمعات العربية والغربية منها، ويتم تعلمها وتصدر عنها الكتب، وينشر عنها في صفحات الانترنت.

ونظرا لأهمية الحجامة في حياتنا أصبح من الضروري الاهتمام بها، ومحاولة تضمينها في كتب الطب الحديث، وهذا ماسنتعمق فيه أكثر من خلال الإجابة على التساؤل التالي: فيما تتجسد الحجامة كطب بديل في المجتمع الجزائري؟

مقدمة:

لم يكتفي الإنسان بالطب فقط لتشخيص مختلف أمراضه وإنما استنبط ما يعرف بالطب البديل أو الطب المكمل هو مجموعة طرق علاجية تختلف عن المعالجات الطبية المتداولة في الطب الحديث، وقد تم استنباط هذه الطرق العلاجية من المعالجات الشعبية المتوارثة عبر الأجيال لكثير من الحضارات التي كانت سائدة قديماً، لذا فهو عادة ما يختلف من منطقة إلى أخرى ولقد مثلت الحجامة جزءاً أساسياً من الممارسات الطبية التقليدية للعديد من المجتمعات العالمية، إلا أنه بعد أن استشرى الطب الغربي في بلاد العالم أجمع، تراجعت تلك النظم والممارسات الطبية التقليدية إلى الظل، فظلت بقايا هنا وهناك كممارسة تقليدية غير رسمية، وفي الصين ومجتمعات شرق آسيا كجزء من المحافظة على التراث الطبي التقليدي. وظل الأمر كذلك حتى سنوات قليلة ماضية وخاصة بعدما فشل الطب الحديث في علاج العديد من الأمراض، وبعد أن تم اكتشاف العديد من التأثيرات الجانبية للعديد من الأدوية الكيميائية، فقد بدأت تنتشر العديد من ممارسات الطب التقليدي أو ما يسمى بالطب البديل مرة أخرى في دول الغرب والشرق هنا وهناك.

كما أن الحجامة سنة دوائية مؤكدة بالقول والفعل عن الرسول عليه الصلاة والسلامولما مجال للتشدد أو إنكارها، فهي علاج ووقاية، ولكنها ليست كما يتصور أو يروج لها البعض من أنها الدواء الساهر الشافي من كل شيء ونحن في هذا المقام نقول بأن الحجامة قد تكون بحد ذاتها شافية ولكنها في أغلب الأحيان، مساعدة ومكملة لعمل الأدوية والعلاجات الأخرى.

1. تحديد المفاهيم:

تعريف الحجامة:

• الحجامة لغة:

الحجم لغة: المص، يقال: حجم الصبي ثدي أمه إذا مصه، سمي به فعل الحاجم لما فيه من المص للدم في موضع الشرط، والفعل منه (حجم) بفتح الجيم ويحجم (بالكسر والضم) واحتجم: طلب الحجامة، يقال: احتجم من الدم، والحجام (المصاص). قال الأزهرى: يقال للحاجم (حجام) لامتصاصه فم المحجمة.¹

والحجامة هي فعل الحاجم وحرافته، والحجم: الآلة التي يحجم بها، أي يمس بها الدم وهي أيضا مشروط الحجام، وكذلك الآلة التي يجمع بها الدم (أي قارورته).

قال ابن الأثير: المحجم بالكسر، الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة عند المص، كما قال والمحجم أيضا مشروط الحجام، ومنه الحديث: "لعقة عسل أو شرطة محجم". و"الحجم فعل الحاجم وهو الحجام". و"احتجم أي طلب الحجامة، وهو محجوم وفي الحديث الشريف "أفطر الحاجم والمحجوم"، وقال ابن الأثير: معناه أنهما تعرضا للإفطار، أما المحجوم فللضعف الذي يلحقه من خروج الدم فربما أعجزه عن الصوم، وأما الحاجم فلا أمن أن يصل إلى حلقة شيء من لدم فيبلعه.²

والجمع محجام، واحتجم أي طلب الحجامة، وللکلمة أصول لغوية أخرى منها حجم بمعنى أعاده إلى حجمه الطبيعي أو جمعه، وأحجم بمعنى تراجع أو منع، ومنها أحجم فم الحيوان إذا جعل عليه حجاما ليمنعه من العض، وحجم فلانا عن الأمر أي كفه وصرفه، والأصول الثلاثة -المحتملة- تشرح عملية الحجامة: فالشطف يؤدي إلى تجميع الدم فيترجع ويمتنع المرض بإذن الله وحوله.³

• الحجامة اصطلاحا وفي الشرع:

هي عملية جراحية يقصد بها تخفيف أو شفاء الالتهاب الذي يحصل في أعضاء غائرة لا تصل إليها العمليات الجراحية دون هذه الوساطة أو نحوها، وذلك بجذب كمية من الدم من مقابل ذلك المكان الملتهب إلى اجلد، ثم استخراج هذا الدم إلى الخارج كما في العلق والفصد، أو حبسه مدة تحت الجلد بحيث ينقطع عن الدورة فيخفف بذلك الالتهاب المذكور أو الألم الحاصل، ففي الحال الأولى، أي إخراج الدم يقال للحجامة دموية، أما في الحالة الثانية جافة يعبر عنه عند العموم بكاسات دم وكاسات هواء.⁴

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما مررت بمأ من الملائكة ليلة أسرى بي إلا قالوا: عليك بالحجامة يا محمد". وفي رواية أخرى: "ما مررت ليلة أسرى بي بمأ إلا قالوا: يا محمد مر أمتك بالحجامة".

وعن سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: ما كان أحد يشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا في رأسه إلا قال: "احتجم"، ولا وجعا في رجله إلا قال "اخضبهما" أي بالحناء.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: أخبرني أبو القاسم "أن جبريل أخبره أن الحجم أنفع ما تداوى به الناس.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن كان دواء يبلغ الداء فإن الحجامه تبلغه".

وعن جابر بن عبد الله أنه عاد المقنع (زاره في مرضه) فقال: لا أبرح حتى تحتجم: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن فيه شفاء".⁵

• **الطب الحديث:** وهو نوع من أنواع التداوي ظهر مع ظهور التكنولوجيا والأبحاث العلمية الرائدة والتي قام بها علماء ودكاترة أوروبيين وهو الطب المنتهج في عصرنا هذا.

• **الطب البديل:** وهو نوع من أنواع التداوي بالأعشاب ولا تتدخل فيه الأدوية الكيميائية المتعلقة بالطب الحديث عادة ما يلجأ إليه المرضى عندما يفشل الطب الحديث في مداواتهم وهو طب منتهج بين العوام دون أي معرفة علمية.⁶

2. **الحجامه طبيا:** هو شفت جزء من طبقة الجلد Skin وأنسجته Epidermis

في مواقع محددة على الظهر غالبا_ لتوليد ضغط سالب Negative Pressure يؤدي إلى تجميع الدم بالشعيرات الدموية Capillaries Blood في هذه المنطقة، ثم إعادة الشفط على الموقع نفسه بعد تشريط سطح الجلد Scratching لسحب الدم Blood Capillaries من مواضع التشريط بما يحتويه من مسببات المرض ومسببات الألم. وبالحجامه يكون: إعادة الدم إلى نصابه الطبيعي وبالتالي تنشيط الدورة الدموية، وإزالة ما ازداد.⁷ من الفاسد (الهرم) من الدم الذي عجز الجسم عن التخلص منه من توالف دموية وشوائب وسواها في أوانها مما يدر بهذه النعمة نعماء عميمة على الجسم وصاحبه علاجاً ووقاية. وبشيء من التفصيل نقول: إن زيادة الدم الفاسد والهرم في جسم البالغ الذي تخطى سن العشرين إثر توقف النمو ينعكس سلباً بتركزه في أهدأ منطقة في لجسم ألا وهي الظهر فإذا ما ازدادت الكريات الهرمة سببت عرقلة عامة لسريان الدم في الجسم وأدى ذلك إلى شبه شلل بعمل الكريات الفتية وبالتالي أصبح الجسم بضغفه عرضة وفريسة سهلة للأمراض، فإذا إحتجم المرء أعاد الدم إلى نصابه وأزال الفاسد منه وزال الضغط عن الجسم فاندفع الدم النقي العامل من الكريات الحمراء ليغذي الخلايا والأعضاء كاهها ويزيل عنها

الرواسب الضارة والأذى من الفضلات وغاز الفحم والبولة وغير ذلك فينشط الجسم وتزول الأمراض ويرفل المرء بالصحة والعافية، والفصادة مثل الحجامة تهدف إلى استخراج كمية من دم المريض على أن يتم ذلك ببزل الوريد بإبرة عريضة- وقد تتم ببزل الشريان.

يقول لدكتور النسيمي: "إن المصادر اللغوية وكتب الحديث تدل على أن الحجامة الشائعة عند العرب وخاصة في العهد النبوي هي الحجامة المبرغة لقوله صلى الله عليه وسلم عنها (شرطة محجم) ولم أعر على نصوص تفيد صراحة وجود الحجامة الجافة في ذينك العهدين، غير أن المص الذي يفيد معنى الحجم يمكن أن يتصور من دون شرط، فقد ورد عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم حجاما فحجمه بقرن وشرط بشفرة، فرآه رجل من بني فزارة فقال: يا رسول الله علام تدع هذا يقطع لحملك؟ فقال أتدري ما هذا؟ هذا الحجم وهو خير ما تداويتم به".⁸

3. الحجامة كعلم: الحجامة هي عملية سحب الدم أو مصه من سطح الجلد باستخدام كؤوس الهواء، بدون إحداث خدوش سطحية أو بعد إحداثها بمشرط معقم على سطح الجلد في مواضع معينة لكل مرض، وهي استخراج الدم من الشرايين (فصد الشريان) أو استخراج الدم من الأوردة (فصد الأوردة)، ويمكن أخذ الدم ببزل الوريد، وتستخدم في بعض أمراض الدم التي تتميز بكثرة كريات الدم الحمر، وبعض أمراض القلب في حالة شدة احتقان الرئتين نتيجة هبوط القلب، وبعض أمراض الكبد مثل التليف الكبدي... إن فقدان الدم بانتظام قد يؤدي إلى حماية الإنسان من النوبات القلبية، فعندما يفقد الجسم الدم يفقد أيضا عنصر الحديد الذي يخزنه الجسم في تركيب خاص، والناس الذين يحتوي دمهم على كمية قليلة من عنصر الحديد هم أقل عرضة للإصابة بالنوبات القلبية... أما هذه المشكلة محلولة عند النساء، وذلك بسبب الدورة الشهرية، إذ أن المرأة تفقد من دمها كل شهر جزءا وهذا يقيها الإصابة بهذه النوبات كما يعلم الأطباء أن إصابة النساء بهذه النوبات أقل من إصابة الرجال أمروا بالحجامة تنفيذا لقول النبي صلى الله عليه وسلم.⁹

4. تاريخ التداوي بالحجامة:

منذ أن أوجد الله تعالى البشرية على سطح هذا الكوكب والإنسان يحاول أن يتخلص من آلام جسده، ويعمل دائما على أن يطور ويبتكر طرقا جديدة للعلاج، تعينه

على قهر المرض وتمهد له السبيل ليتمتع بحياة لا يعكر صفوها آهات المتعبين وأنات المعذبين. وتعد الحجامة (المعالجة بنزع كمية من دم الجسم عبر الجلد Blood Letting) أحد أقدم فنون العلاج التي عرفها الإنسان، عرفها الصينيون والبابليون والفراعنة، الذين دلت آثارهم وصورهم المنحوتة على استخدامهم الحجامة في علاج بعض الأمراض.

فعند المصري القديم هو أول من استخدم الحجامة بأسلوب نظامي، فالحجامة أسلوب طبي قديم استخدمه الفراعنة، حيث يذكر أبو الطب (أبقراط) ذلك بقوله إن الفراعنة قسموا الطب إلى طب الصوم وطب الإخراج أو طب الحجامة عن طريق فتحات يحدثها الطبيب في الجلد، ووجدت رسوم تدل عليها في مقبرة الملك توت عنخ آمون وتعتبر أوراق البردي التي سجل فيها قدماء المصريين طريقة العلاج بالحجامة من أقدم الوثائق التاريخية في هذا الموضوع.¹⁰

ففي عام 1550 قبل الميلاد قام (ابرس باروس) بكتابة كتاب -وهو أقدم كتاب طبي في مصر- وصف فيه العلاج بالإدواء عن طريق الحجامة لإزالة المواد الضارة الغريبة من الجسم ويعتبر أول مخطوط انساني حول الحجامة، وهذا المخطوط يعود للحضارة الفرعونية وهو موجود الآن في المتحف البريطاني ضمن ما سرق من التراث المصري القديم، وقد وضع الاطباء المصريون في هذا المخطوط خريطة كاملة لجسم الانسان وكيفية عمل الحجامة.

وفي عام 413 قبل الميلاد قام الطبيب (هرودوتس جريسي) بكتابة أول كتاب عن الحجامة في مصر، موضحا فيه كيفية استخدامات الحجامة فقال: إن الفصد والحجامة هي القوة التي تفرغ الالام من الرأس، وتقلل الالتهابات، وتفتح الشهية وتزيل الدوخة، وتعالج الميل للإغماء، وتمنع النزف، وتنظم الدورة الشهرية وتقلل العفن الذي يؤدي الى لسخونة، وتحسن قوة المعدة.¹¹

أما عند الاشوريين والبابليين كان (جي هونج 281-341 ق.م) هو اول من استخدم قرون البقر في الحجامة كعلاج للدماغ والخراج وسميت بالصينية (Jiaoha) نسبة له. وبالنسبة للصينيين ورد في كتاب (شن بن) للدكتور (هي شونج) في كتابه ((الاتصالات الشخصية)) 1995 أن العلاج بالحجامة قد بدأ قديما في الصين، وفي سنة 28 بعد موت المسيح: ذكر في كتاب للطبيب الشعبي الصيني (زهو فانج) والذي أورد فيه أنه استخدم الحجامة في علاج بعض المرضى.¹² وفي سنة 281-341م استخدم (جن هونج)، في

مقاطعة(جن دانستي)، الحجامة بالقرون في شفت الخراجات، وفي سنة755م سجل في كتاب(وايت آنواي) ان الحجامة استخدمت لعلاج السل، وفي سنة1055م كتب(سوسن لانج فانج): ان الحجامة هي العلاج المثالي للسعال المزمن والدواء الناجع ضد سم الحية.وفي سنة1500م استخدم الجراح الصيني الشهير الدكتور(وي كي زن زونج) الحجامة في ممارسة الجراحة،وفي سنة1800م ذكر الدكتور الصيني(زهو كسو منج) في كتابه(بن كاو جانج ميوشي يا) أن العلاج بالإبر الصينية والحجامة تعالج أكثر من نصف الامراض، كما وصف تفصيليا تاريخ الحجامة واشكالها واصلها وأنواعها، وظيفة وتطبيقا.وفي القرن السادس عشر الميلادي كتب الطبيب (برسبر البنيس) الذي أقام في مصر وعمل كطبيب (ان الحجامة تعتبر علاجا لمعظم أنواع الامراض الى جانب المحافظة على الصحة).وفي 1644م-1911م في مقاطعة كونج دانستي أوصى الطبيب (زهو زومينج) في كتابه ((ملخص الصيدلية العشبية)): باستخدام الحجامة في العلاج، وفي1973م اكتشف أقدم سجل للحجامة في((بوشو)) وهو كتاب أثري مكتوب بالحرير في معبد أثري في (هان دانستي)، وذكر فيه: أنه استبدلت بقرون الحجامة كنؤس الفخار ثم السراميك ثم كأس الزجاج.وفي القرن التاسع عشر في الخمسينيات 1950م أثبت الباحثون في الصين وأخصائيو العلاج بالإبر الصينية من الاتحاد السوفيتي ان الحجامة هي العلاج الفعال والممارس في جميع المستشفيات في أنحاء الصين وعلى أثره عملت الأبحاث المستمرة لتطوير الحجامة.¹³

وفي عهد أبقرات كانت بعض المجتمعات تعتقد أن أسباب الأمراض ترجع إلى دخول أرواح شريرة الى جسم المريض لذا فقد كانوا يقومون بإخراجهم عن طريق تسريب كمية من دم المريض أو عن طريق (التربنة) وهي ثقب الجمجمة.

ما هي حقيقة المرض بسبب الارواح الشريرة ؟

ظهر الطبيب الاغريقي أبقرات (أبو الطب) الذي وضع نظرية الأخلاط الأربعة، حيث اتخذ المعالجون بالحجامة من هذه النظرية تفسيريا علميا لطريقتهم العلاجية،حيث اعتقدوا أن إخراج الدم يحقق التوازن بين الاخلاط التي هي سبب الأمراض حسب نظرية أبقرات. تبنى (جالن) نظرية أبقرات وأعتقد بصحتها، حيث انه برع في علم التشريح وتوصل الى معرفة الشرايين والاوردة وانها تحوي دما وليس هواء كما كان معتقدا؛ لذا فقد كان علاجه الاساسي قائما على فكرة الحجامة، تسريب الدم من أجسامهم (الفصد)، إلا انها

كانت غاية في الخطورة حيث كان يقطع احد الاوردة مما يؤدي الى النزف ربما حتى الموت، أو حدوث التهابات في الجروح، حيث كان يعتقد ان خروج الصديد من مكان الجرح (الناتج عن العدوى والتلوث) علامة طبية على الشفاء وخروج المرض !! مع انها لم تحقق نتائج الا انها ظلت تمارس لفترة طويلة من الزمن.¹⁴

والحجامة عند الأوروبيين والأمريكان انتقلت الحجامة من المصريين الى الاغريقين قديما بواسطة الطبيب الإغريقي (سكرويس) عام 2448 قبل الميلاد، والذي هاجر مع رفاقه من مصر واستقر في مستعمرة إغريقية، وبنى مدينة أثينا (عاصمة اليونان حاليا). وفي عام 361-462 ق.م استخدم أبقرات - وهو أشهر الأطباء الإغريقين القدامى - كؤوسا كبيرة في الحجامة. وفي عام 360 ق.م كتب الطبيب الأوروبي (أوباسيس) عن الفصد والحجامة. وفي عام 129-200 الميلاد ذكر جالين (أن المرض هو حالة غير طبيعية للجسم تؤدي الى خلل في وظائفه. والصحة هي الحالة الطبيعية للجسم. ثم تابع قوله: إن الحجامة تعمل على طرد المواد الضارة المسببة للأمراض، أو تنقل الدم من جزء إلى آخر، وفائدة الحجامة عن غيرها من طرق العلاج بالإدماة إن الطبيب له القدرة على التحكم بمجرى الدم)، وفي القرن التاسع الميلادي انتشر الفصد والحجامة في اسبانيا بعد فتح الأندلس على ايدي المسلمين العرب؛ وقد استخدم الطبيب العربي الرازي (الفصد والحجامة) بنجاح لعلاج الملك همت الذي تعرض لنزيف بالدماغ.

أما بالنسبة لإيطاليا فقد انتقلت الحجامة من العرب اليهم في القرن الخامس عشر ميلادي، وفي عام 1738م قام الطبيب الايطالي (بليني) بالعلاج بالحجامة الجافة، وفي عام 1796م ذكر الجراح البريطاني (وليم مارستون) أنه استخدم الحجامة في مستشفى (مارستن الملكية) في لندن، اما في عام 1823م كتب الحجام (سمول بايفيلد) أن الحجامة فن، وفي عام 1826م كتب الجراح (شارلس كندي) فن الحجامة معروفة وفائدتها تظهر من الممارسة لها، والمصريين هم الذين علموا الإغريقين الفصد والحجامة.¹⁵

وفي عام 1827م استنتج الدكتور (مارتن باري)، من ادنبرج والمقيم في باريس، من ابحاثه ان الحجامة تنفع في طرد السموم من الجسم عند وضع كأس الحجامة على الجلد في مكان الجروح التي يوجد بها السم، وبذلك ينقذ من الموت، مع ان العمليات الجراحية لا تستطيع استخراج هذا السم، وفي عام 1813م-1830م قام الحجام (تومس مالبسون) بوضع قائمة للأمراض التي تعالج بالحجامة وهي:

الذبحة الصدرية، المياه البيضاء في العين، التشنجات، شد العضل، أمراض المفاصل والحوض والركبة، الصمم، الصرع، الدوخة، الدوران، النقرس، السعال الديكي، استسقاء الرأس، حب الشباب، التهاب الرئة، التسمم، التعب العام، آلام الظهر، التتميل في الاطراف، الانسدادات، امراض العين، التهاب الغشاء البلوري، الشلل، اختلالات التنفس الروماتزم، استرجاع الراحة، عرق النساء، صعوبة التنفس، آلام الحلق، الآلام الجانبية للصدر، أما عام 1832م أكمل الجراح (جيم دافس لين اسكيو) أبحاثه القيمة في المعهد الذي كان يعمل بهو في 1834م وصف الطبيب الانجليزي (دايس دوك) استخدام العلاج بالحجامة الجافة.

وفي بداية القرن العشرين بدأت ممارسة الحجامة تقل في أمريكا وأوروبا تدريجيا وقد كان آخر استخدام للحجامة في أمريكا وأوروبا عام 1915، كما كتب في ذلك أحد الأطباء الجراحين الأمريكيين (هاينرش ستيرن).¹⁶

وفي نهاية القرن العشرين عادت أوروبا وأمريكا لاستخدام الحجامة بالطرق الحديثة الصحية المقننة والأمنة، وأدرجت تحت العلاج بالطب البديل.¹⁷

أما عند العرب المسلمين فعرفها العرب منذ القدم واستخدموها كطريقة من طرق العلاج حتى جاء الاسلام فأقر تلك الممارسة فالرسول صلى الله عليه وسلم أحيها بعد موت ذكرها، وطبقها بأصولها، ففي "الصحيحين" أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام أجره كما أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على الحجامة فقال: "إن أفضل ما تداويتم به الحجامة" وله الفضل في سنّها للمسلمين وللعالمين أجمعين.¹⁸

وقد استخدمت الحجامة على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في عهده وعهد الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين، فكانت علاجاً لكثير من الأمراض.

وعلى عهد(ابن سينا) كان للحجامة شان لا بأس به، فقد ذكر ابن قيم الجوزية(691-751هـ) في كتابه "زاد المعاد فيهدي خير العباد": أن ابن سينا كتب في (القانون في الطب) عن نوعي الحجام: الجافة والرطبة، والادوات التي تستخدم فيها الحجامة وطريقة تطبيقها فقال: "إن الحجامة تتقيتها لنواحي الجلد أكثر من استخراجها للدم الغليظ ومنفعتها في الأبدان الغليظة الدم قليلة لأنها لا تبرز دماءها، لا تخرجها كما ينبغي، بل الرقيق جدا منها، وتحدث الحجامة في العضو المحجوم ضعفاً".

وكذلك فقد ذكر في "قانونه" عن أماكن الحجامة وفائدتها فقال: "على الكاهل خليفة الباسليق تنفع من وجع المنكب والخلق، وعلى الأذعنين خليفة القيفال تنفع من ارتعاش الرأس، وتنفع الأعضاء التي في الرأس مثل الوجه والأسنان والضرس والأذنين والعينين والخلق والأنف، لكن الحجامة على النقرة تورث النسيان حقاً كما قل، فإن مؤخرة الدماغ موضع الحفظ وتضعفه الحجامة، وعلى الكاهل تضعف فم المعدة".

5. أوقات التداوي بالحجامة: تعود كلمة حجامة إلى زمن بعيد فهي ذات معنى عام، إن الحجامة نوعان، النوع الأول حجامة جافة لا يستخدم فيها الشرط والنوع الثاني حجامة رطبة يستخدم فيها الشرط وهي التي أوصانا بها الرسول صلى الله عليه وسلم باستخدامها في الأيام (21.19.17) من كل شهر قمري لعلاقة هذه الأيام بتأثير قوة جذب القمر والشمس عندما تكون محصلة تأثيرهم على أدنى تأثير جذبي لسوائل خاصة ومنها الدم حيث تقل نسبة تهيجه إلى أقل ما يمكن خلال هذه الأيام التي تقع ضمن التربيع الثالث القمري والتي تفضل استحباباً وفقاً للسنة النبوية عن الأيام الزوجية لهذا التربيع ولم يعرف الإنسان التأثير الجذبي للقمر والشمس إلا بعد نحو (1100) عام حين اكتشف نيوتن الجاذبية وقوانينها، كما لم يتوصل الإنسان إلى معرفة الحسابات الدقيقة لحركات وتأثير كل من القمر والشمس إلا في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وبهذا فإن السنة النبوية تشكل سبقاً في هذا الميدان من خلال تحديد نتيجة هذا التأثير والحسابات الدقيقة بتحديد الأيام القمرية التي تجري فيها الحجامة وهذا موجود على مستوى قاعدة الاعتقادات الشعبية.

6. ادوات التداوي بالحجامة: تعد كؤوس الحجامة أهم أداة في عمل الحجامة والحجام ومع تطور الكؤوس تطورت أيضاً التطبيقات السريرية للحجامة وكذا مع تنوع الثقافات التي هيأت الحجامة لتكون آلية ممتازة لحفظ الصحة. ويبدو أن الصينيين هم الذين وسعوا الانتفاع بالحجامة. وترى أنيتا شانون أن أول تقرير طبي علمي كتب عام 28م فيه مقولة صينية مفادها أن المعالجة بوخز الإبر مع الحجامة تشفيان أكثر من نصف أمراض البشر، وتوضح معطيات الطب الصيني أن الحجامة تبدد الركودة الدموية، والتي بسببها تعمل مؤثرات خارجية تدخل العضوية في حالات مرضية مختلفة.

جي هونغ(عام340م)أول من وصف في كتابه "وصفات الطوارئ"الحجامة وقررها كعلاج إسعافي واستعمل لها القرون الحيوانية.

وفي كتاب Tang Dynasty وصفت الحجامة لمعالجة السل الرئوي والأمراض المشابهة. بعد ذلك تحدث Zhao Xuemin عن أهمية الحجامة باستعمال محاجم مسخنة بحرق قطعة من الصوف فيها تصنع من الخشب أو الخزف ويصفها لمعالجة الصداع الناجم عن البرد، والدوار، والآلام البطنية وأوجاع المفاصل.¹⁹

وهناك نصوص من طب الفراعنة تؤكد استعمالهم للحجامة في معالجة حالات مرضية متعددة كالحمى والآلام والدوار واضطراب الطمث وضعف الشهية من أجل تعجيل شفائهم. ومن عند المصريين انطلقت الحجامة إلى اليونانيين ومنهم انتقلت إلى الشعوب الأوربية وحتى إلى الأمريكيين.

كما أثبتت المصادر التاريخية معرفة العرب في جاهليتهم للحجامةوقد أقر النبيصلى الله عليه وسلم قومه على الانتفاع بهذه الطريقة العلاجية، بل واستخدمها النبي صلى الله عليه وسلم للوقاية من العديد من الأمراض كتنبيغ الدم ولمعالجة بعضها الآخر كما سنجد ذلك مفصلاً في فصول قادمة من هذا الكتاب.

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر ظهرت أوراق بحث تفيدت1طبيب الأطباء الأوربيينو الأمريكيين للحجامة في الممارسة العملية.²⁰كما أثمرت جهود التعاون بين الأطباء السوفيات والصينيين عن نتائج طبية في التطبيقات السريرية للحجامة وأصبحت من المعالجات الأساسية هناك حيث تجدها مطبقة في معظم مشافي الصين. كما أن حجامة الثديين أصبحت تمارس لمعالجة الأثداء الملتهبة(الشكل2) وفي اضطرابات الرضاعة حيث طبقت ممصات الثدي العائلية Breast Pumb.

وفي أواخر القرن العشرين²¹دخلت تطورات مهمة على تقنية الحجامة إذ ظهرت نوعيات من الكؤوس مجهزة بمضخات يدوية عوضاً عن استعمال النار في تفريغ الهواء حيث يوجد لها مدك وصمام يتم غلقه أثناء سحب المدك ثم يعاد فتحه بعد الانتهاء من عمل الحجامة فيتسلل الهواء إلى داخل الكأس ويمكن بذلك رفعه بسهولة ثم ظهرت بعد ذلك محاجم مزودة بمضخات كهربائية لتفريغ الهواء.

وفي تحقيقه لكتاب " الطب من الكتاب والسنة"²² كتب د. عبد المعطي قلنجي مؤكداً أنه حتى عام 1960 لم تكن تصدر مجلة طبية أو كتاب في علم وظائف الأعضاء أو

العلاج إلا وللحجامة فيه ذكر وفوائد وآلات. وذكر أن بعض الشركات المختصة بإنتاج الأجهزة الطبية أنتجت حقيبة خاصة لأدوات الحجامة. وفي عام 1973 وقع بيدي كتاب عن علاج الروماتيزم والتهاب المفاصل لمؤلفه د. فورستر لنغ فوجدته يشير إلى الحجامة كمخفف للآلام الرثوية الشديدة. وفي عام 1975 ذكرها الأستاذ زكي سويدان في آخر طبعة من كتابه "التمرريض والإسعاف" القاهرة، حيث ذكر مواضع الحجامة وأنها وسيلة ناجحة لعلاج حالات هبوط القلب المترافق مع ارتشاح في الرئتين و ببعض أمراض القلب وآلام المفاصل. وأما عام 1978 ذكر الحجامة د. عبد العظيم رفعت أستاذ الجراحة في جامعة القاهرة في كتابه Surgery كطريقة لمعالجة عسر التبول الناتجة عن التهاب الكليتين وتطبق الحجامة هنا على الخاصرة، يدل هذا على أن الطب إن أغفل الحجامة في مطلع القرن العشرين إلا أنه عاد واعتمدها كعلاج من العلاجات النافعة يتعاقد معها للوصول إلى الشفاء ومن ناحية أخرى ترى بعض الأبحاث أن الحجامة تنفرد في معالجات تنفع فيها وتخفف الآلام وليس لها أي مضاعفات جانبية.

7. توصيف أماكن الحجامة في الجسم:

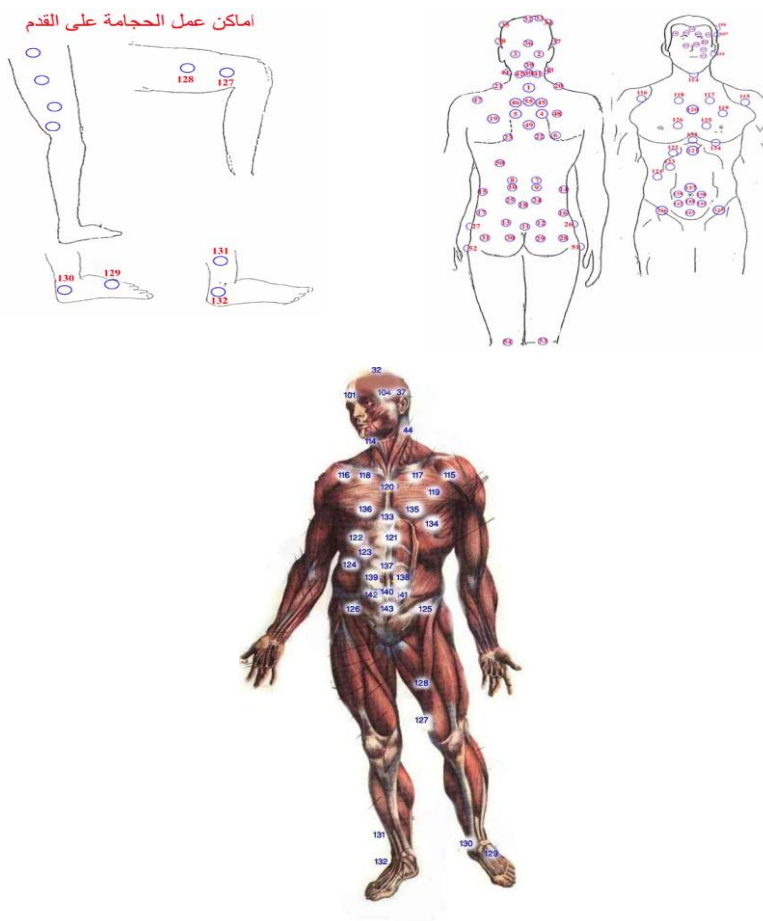
• توصيف لأماكن الحجامة على الظهر:

- 1- الكاهل وهو الفقرة السابعة من الفقرات العنقية.
- 2-3- الأذعين وهي خلف الأذنين على جانبي الرقبة.
- 4-5- باب الهواء هي بين اللوحين إلى أعلى عند تفريغ القصبه الهوائية وبداية الرئتين.
- 6- عقدة المرارة وهي على طرف اللوح اليمين من جهة العمود الفقري.
- 7-8- مكان المعدة وهي في وسط الظهر مقابل المعدة على جانبي العمود الفقري.
- 9-10- مركز الكلى وهي تحت 7 و 8 في وسط الظهر.
- 11- الفقرة القطنية وهي فقرة بارزة في نهاية العمود الفقري.
- 12-13- على جانبي رقم 11 للأعلى قليلاً وعلى بعد 5 سم من العمود الفقري.
- 14-15-16-17- خاصة بالقولون وهي تقريباً في أركان القولون من الظهر ورقم 18 في وسطهم على العمود الفقري.
- 19- خاصة بالقلب وهي في مقابل القلب من الخلف وتقريباً على جانب اللوح الأيسر.

- 20-21- مثلث اللوز في المنطقة ما بين الرقبة والكتف وتميل لجهة الظهر قليلاً.
- 22-23- فوق غدة البنكرياس تحت حرف اللوح.
- 24-25- في بداية النصف السفلي من الظهر.
- 26-27- على جانب الجسم من الخارج على عظمتي الحوض.
- 28-29-30-31- على الجزء العلوي من الإليتين (مكان الحقنة).
- 32- في وسط الرأس مكان بريمة الشعر أو مكان دوران الشعر.
- 33- يمين دائرة الشعر بحوالى 2 سم وقبل القرن اليمين.
- 34-35- الفص اليمين واليسار من المخ وهي جهة اليمين واليسار للخلف في المنطقة التي تشبه القرن.
- 36- المخيخ وهي العظمة البارزة في مؤخرة الرأس.
- 37-38- فوق الأذنين بحوالى 3 سم.
- 39- نقرة القفا وهي المنطقة العميقة في مؤخرة الرأس وهناك نهى عن الحجامة فيها إلا للضرورة.
- 40- وسط الرقبة على القفا.
- 41-42- على القفا يمين ويسار.
- 43-44- بديل الأذنين (جانبى العنق).
- 45-46- فوق باب الهواء (4-5) بحوالى 3 سم.
- 47- على الكتف الشمالى وهي إضافية للقلب.
- 48- على اللوح اليمين من أعلى وهي مكملة لعقدة المرارة.
- 49- منطقة المناعة من الخلف بين اللوحين على العمود الفقري.
- 50- فوق رقم 8 ب 6 سم إلى اليسار قليلاً وهي لقرحة المعدة.
- 51-52- عظمتين الفخذين من الجانبين.
- 53-54- باطن الركبة من الخلف.
- 55- أسفل الكاهل بحوالى 3 سم.
- توصيف لأماكن الحجامة على الوجه والبطن
- 101- الهامه مكان السجود ويفضل عدم تكرارها كثيراً.
- 102-103- فوق الحاجبين من الداخل للجيوب الأنفية.

- 104-105- على جانبي الحاجبين وإلى أعلى قليلاً للصداع والنظر.
- 106- فوق الأذن اليسرى بحوالى 6 سم للمساعدة على الإقلاع عن التدخين.
- 107- فوق السوالف اليسرى بحوالى 4 سم وهي تساعد فى النطق.
- 108-109- على جانبي الأنف للجيوب الأنفية.
- 110- أسفل الأذن يمين ويسار.
- 111-112-113- بجوار العين والخد وبجوار الشفه ولعلاج العصب الخامس والسابع.
- 114- أسفل الذقن ولها فوائد كثيرة.
- 115-116- تحت طرفى عظمة الترقوة من الخارج وعلى الكتفين.
- 117-118- تحت الترقوة من الداخل على الصدر.
- 119- خاصة بالقلب تحت وسط الترقوة اليسرى بأربع أصابع للمريض نفسه.
- 120- عظمة القص وهي وسط الصدر (المناعة).
- 121- فم المعدة وهي أسفل عظمة الصدر مباشرة على التجويف.
- 122-123-124- فوق الكبد جهة اليمين من البطن.
- 125-126- بين البطن والفخذ بجوار العانة وهي للتبول اللاإرادي والعقم وغيره.
- 127-128- على باطن الفخذين من الداخل.
- 129- على ظهر القدم يمين.
- 130- على جانبي الكعب من الداخل والخارج لأملاح القدم.
- 131- فوق عظمة الكعب من الخارج بحوالى 5 سم (فوق بز الرجل)
- 132- عرق الصافن خلف بز الرجل من الخارج (للدوالى).
- 133- فوق فم المعدة بحوالى 2 سم وقبل نهاية عظم الصدر.
- 134- أسفل الثدي اليسار.
- 135-136- على بعد 5 سم من حلمة الثدي من الداخل (للرئتين).
- 137-138-139-140- فوق ويمين ويسار وتحت السرة.
- 141-142- يمين ويسار 140.
- 143- فوق المثانة.

مخطط مواضع الحجامة فى الجسم



8. **الحجامة كطب بديل في ثقافة المجتمع الجزائري:** تخلص الطب البديل من كل ما يشوبه من صفات خرافية، حولته إلى مجرد ممارسات تقليدية تنسب إلى الجدّات حتى المشعوذين أحياناً، ونسبة نجاحه التي تتحكم به الصدف والحظوظ غير المؤكدة عادة، تحولت إلى حقائق لطب له قواعده المؤصلة وبحوثه المتفردة وأدويته ووسائله الخاصة، إذ أجمع علماء اليوم وخاصة المنصفين منهم على أن فكرة كونه مجرد موروث شعبي إنما هي من صنيع أنصار الطب الغربي الحديث، الذي ساعد على انتشار الوجود الاستعماري، حيث بنعت كل ما دونه بالدجل ويرتقي به أعلى درجات

العلم، ليكون دافعا وجيها في تراجع الطب التقليدي ومراوحته في الظل، بينما يتحرك على استحياء وتحفظ في بعض مجتمعاتنا، ولعل الحجامة التي هي في حقيقتها ممارسات طبية قديمة هي أكثر أنواع الطب البديل انتشارا اليوم، تزامم الطب الحديث بأبحاثه الضخمة وعلمائه المقتدرين، بوسائلها البدائية، وتتحداه أيضا.

وللحجامة مكانها عند العرب وإن لم تأخذ حجما من الاهتمام الكبير مقارنة مع المجتمعات الأخرى، وقد أقرها الإسلام بمحيته ودلائل ذلك، نصوص شرعية دلت وأشارت إلى استحبابها، وقد أتى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (خير ما تداوitem به الحجامة) لتترسخ عقيدة كونها احياء للسنة وتنتشر تحت هذا المفهوم وتصبح حكرا على الرقاة وبعض من تخصصوا فيها بصفتهم حجامين يدركون أصول الحجامة.

إن سلوك الإنسان حيال الطب الشعبي وخاصة الحجامة سلوك نسبي بين الفقراء والأغنياء وهكذا فإن الأبعاد الطبقيّة والتعليمية فارقة في الجانب العقلاني منه ولكن الأبعاد ذاتها ليست فارقة في الجانب الديني للحجامة فالمتعلمون والفقراء والأغنياء يفرعون إلى الممارسات العلاجية الدينية⁽²³⁾ مع اختلاف في البواعث فقط فإذا كان الباعث من فقراء هو الفقر فإن الباعث للأغنياء هو استعصاء المرض بينما يدفع المتعلمين إليه فشل الطب الرسمي أو استعجال نتائجه.

ولقد لاحظنا في كلا الفئتين نفس الإجابة حول الإيمان بالحجامة كوسيلة للعلاج من المرض هذا يعكس ثقافة دينية حول هذا الموضوع وأن الحجامة سنة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

يعد الطب البديل من الوسائل التي يعتمد عليها الفرد للشفاء خاصة في دين الإسلام والسنة النبوية لذا نجد معظم العرب يتداوون بالحجامة لما لها من قدرة شفاية حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام نصحته الملائكة في حادثة الإسراء والمعراج بأن يأمر أهله أي المسلمين بالحجامة "شرطة محجم" لذلك فإن الحجامة أصبح لها كتب عدة تشرح كيفية استعمالها ولها أوقاتها أيضا، أمّا الرقية فهي أيضا تعد ضمن صلب الدين الإسلامي وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم نصح أمته بها وبقراءة القرآن لما له من أفضل شفاية عدة لقوله تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) الإسراء: الآية 82، أمّا الكي فلقد قيل في العرب قديما أن آخر الدواء الكي لما عنده من قتل للجراثيم والميكروبات المتواجدة في الجراحة.

وإذا اعتبرنا أن الحجامة طقس مثل باقي الطقوس التي لا يتكفل بها الطب الرسمي، وإذا ألقينا نظرة في إطار أنثروبولوجية الطب لهدا الطقس (الحجامة) أمكن لنا الجزم بأنه لغز مبهم إلى يومنا هذا إنها سر معقد وكما يقال " لو عرف السبب بطل العجب" وبالتالي لازال علاجاً فعالاً وناجعا؛ وإذا تعمقنا في ثقافة أفراد المجتمع الجزائري نجد أن أغلب أفرادها يؤمنون بالحجامة كطب بديل باختلاف مستوياتهم التعليمية، والثقافية ولكن هناك من يسميها بمسماها الأصلي الحجامة، والآخر ينعته بمسماه وفقا للمعتقد الجمعي وثقافته فيقولون عنها المغيثة.

وبالرجوع إلى النظرة الاجتماعية والثقافية للصحة وعلاقتها بالحجامة وهذا ما أكدته النتائج والإحصائيات؛ إذ أكدت أن لكلا الطبقتين المتعلمة وغير المتعلمة، ثقافة خاصة بكل منهما بحيث أن الطبقة التي لم تكمل تعليمها ترجع معرفتها للشائبة القائمة على الحجامة-الطب البديل إلى الجانب المعتقدي والديني إذ أنها تؤمن بالمكتوب والمعتقد لكنها لا تحبذ الجانب العلمي في نظرتها للصحة وعلاقتها بالحجامة على عكس الطبقة المتعلمة تؤكد لنا وفق نظرة منطقية علمية من منطلق بيداغوجي بحث، إذ أن نظرتها للصحة وعلاقتها بالحجامة تعتمد على المنطق وهذا لا يلغي الجانب المعتقدي لأن هذا الأخير راسخ في المخيال الشعبي والثقافي. إن إشكالية الثقافة الشعبية بالثقافة العلمية متجلية في الميدان الطبي.

الخاتمة:

من خلال ماتم استقراءه أنفا نرى أن الطب البديل أو كما يعرف بالحجامة أصبحت كوسيلة علاجية عادت للظهور والانتشار من جديد تنافس الطب الحديث ان لم نقل بدأت تأخذ مكانه بصورة كاملة، سواء في المخيال الجمعي للناس أو حتى في تمثالتهم الاجتماعية، عند الطبقة المتعلمة منها وغير المتعلمة؛ فأصبح تعليمها والقيام بها يستهوي كثيرا من الأطباء بعدما أثبتت دراسات علمية في دول مختلفة من العالم فعالية هذه الوسيلة العلاجية القديمة في مداواة وتخفيف كثير من متاعبنا الصحية.

الهوامش:

- 1- مصطفى آدم، الموسوعة الشاملة في الحجامة، ط1، دار ابن حزم، القاهرة، 2011، ص: 232.
- 2- جمال محمد زكي، أحمد عبده عوض، الموسوعة العلمية في الحجامة، العلاج بالحجامة والابر الصينية من منظر العلم الحديث، ط1، ألفا للنشر والتوزيع، 2010، ص 3 .
- 3- مصطفى آدم، المرجع السابق، ص 23 .
- 4- مصطفى آدم، المرجع السابق، ص ص 24، 25.
- 5- جمال محمد زكي، أحمد عبده عوض، مرجع سابق، ص ص 3، 4.
- 6 - جلال الدين السيوطي، التداوي بالأعشاب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1970، ص 20.
- 7- جمال محمد زكي، المرجع السابق، ص 4 .
- 8- محمد أمين شيخو، الحجامة، الدواء العجيب، دار نور البشير للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، 1999، ص17.
- 9- جمال محمد زكي، أحمد عبده عوض، المرجع السابق، ص 6 .
- 10- جمال محمد زكي، أحمد عبده عوض، المرجع السابق، ص9.
- 11- المرجع نفسه، ص 27 .
- 12- محمد أمين شيخو، المرجع السابق، ص 27.
- 13- جمال محمد زكي، أحمد عبده عوض، المرجع السابق، ص ص 12، 13.
- 14- مصطفى آدم، المرجع السابق، ص 30 .
- 15- مصطفى آدم، المرجع السابق، ص ص 31، 32.
- 16- محمد أمين شيخو، المرجع السابق، ص 34.
- 17- جمال محمد زكي، أحمد عبده عوض، المرجع السابق، ص 18.
- 18- مصطفى آدم، المرجع السابق، ص 37.

¹⁹- Subhuti ,internet / www,it monline org/arts/cuppind htm.

²⁰ - Anita Shanon, Lmbt “Massage Cupping in health care“ www. Massage cupping Com.

²¹أيمن الحسيني، المرجع السابق، ص 45..

²²موفق الدين البغدادي، الطب من الكتاب والسنة، 629هـ، دار المعرفة، بيروت 1988، ص 23.

²³علي محمد المكاوي، المعتقدات الشعبية والتغير الاجتماعي، دراسة ميدانية بمحافظة دمياط، رسالة ماجستير (بإشراف محمد الجوهري) جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع، 1982، ص 120.